تنظيمات الحج وتأثيراته في الجزيرة العربية خلال العصر العباسي

رسالة دكتوراه لخالد عزام الخالدي

عرض وتلخيص - د . أمين سليمان سيدو*

الخالدي ، خالد عزام . تنظيمات الحج وتأثيراته في الجزيرة العربية خلال العصر العباسي .- رسالة (دكتوراه) . إشراف عمر بن سليمان العقيلي .- الرياض : جامعة الملك سعود ،كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .- ٤٣٠ ورقة.

بلغ اهتمام الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - بالحج أن قاموا بقيادة قافلة الحج بأنفسهم معظم سنوات خلافتهم ، تأسيًا بالرسول ﷺ ، حين فعل ذلك في حجة الوداع . ولكن بعد انتقال عاصمة الخلافة خارج الحجاز ، وبسبب كثرة مشاغل الخلفاء ، لم يعد من الميسور عليهم القيام بهذه المهمة بأنفسهم في كل عام ، فأوكلوا أداء هذا الواجب إلى من ينوب عنهم من أهل بيتهم ، أو إلى من يثقون بكفاءته من خواصّهم . الأمر الذي جعل من إمرة الحج مهمة جليلة ، تتمثل فيها الزعامة الإسلامية بجانبيها الديني والسياسي في الدولة الإسلامية في آن واحد .

* بكالوريوس في علم المكتبات والمعلومات من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- دكتوراه في علم المكتبات والمعلومات من جامعة قازخستان الوطنية ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- مدير إدارة الإيداع النظامي بمكتبة الملك فهد الوطنية .

ومن هنا برز تأثير إمرة الحج على مجريات الأحداث التاريخية في الحجاز بصفة خاصة ، وفي الجزيرة العربية بصفة عامة ، وفي المناطق التي تمر بها طرق الحج بصورة أعم ، في مختلف النواحي السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية .

وقد قسم الباحث دراسته على النحو التالي :

تمهيد : عرف فيه الحج ، وتنظيماته في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين والأمويين .

الباب الأول : تنظيمات الحج ، ويضم خمسة فصول هي :

الفصل الأول : إمرة الحج . وقد استعرض الباحث فيه تعريف إمرة الحج بشقيها، إمرة الركب ، وإمرة الموسم ، ومن الناحية النظرية عند كتاب السياسة الشرعية . وإمرة الحج وتطورها من الناحية العملية، في مختلف فترات العصر العباسي .

الفصل الثاني : تنظيم ركب الحج . تكلم فيه عن مواسم تعيين أمير الركب ، وعن الموظفين المرافقين لأمير الركب والارتحال والنزول ووصف مراكب الحج ووسائل مواصلاتهم ، ثم عودة الحجاج ومظاهر الاحتفاء بهم .

الفصل الثالث : طرق الحج . تحدث فيه عن مسارات طرق الحج المسلوكة في العصر العباسي مثل : طريق الحاج العراقي ، من الكوفة والبصرة ، وطريق الحاج المصري ، البري عن طريق سيناء ، والبري - البحري المار بعيذاب ، والطرق البحرية الأخرى من شمال البحر الأحمر إلى موانئ الحجاز ، وطريق الحاج الشامي، وطريق الحاج اليمني بفرعيه الداخلي والساحلي .

الفصل الرابع : مشروعات طرق الحج وإدارتها . استعرض فيه مشروعات طريق الحج العراقي، مثل : رصف الطريق وتسويته، والمشروعات المائية مثل : حفر الآبار والعيون، والبراك والمصانع. والمشروعات العمرانية، مثل : بناء المساجد والقصور والحصون والمستودعات. ثم تحدث عن الإدارة المكلفة بالإشراف على تنفيذ هذه المشروعات وصيانتها وتشغيلها. وكذلك تحدث عن المشروعات المائية ، والعمرانية في طرق الحج المصري، والشامي ، واليمني .

الفصل الخامس : العوامل المعوقة لقوافل الحج . وتنقسم إلى قسمين :

عوامل طبيعية : مثل قلة الماء في الطريق ، وقلة الطعام والمجاعات ، والكوارث الطبيعية التي يتعرض لها الحجاج مثل: الرياح، والسيول ، والغرق.

وعوامل بشرية : مثل اختلال الأمن في طرق الحج في مختلف فترات العصر العباسي، وتطرق إلى الإجراءات التي تم اتخاذها في كل فترة من هذه الفترات لمعالجة الوضع الأمني .

الباث الثاني : التأثيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للحج. ويضم ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التأثير السياسي للحج . تكلم الباحث فيه عن الدور السياسي لإمارة الحج في الحجاز وخصوصًا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) حينما تعددت الخلافة الإسلامية، واحتدم الصراع بين الخلافتين العباسية والفاطمية، والقوى الأخرى المعارضة

للخلافة العباسية، على النفوذ في الحجاز، أصبحت السيطرة على الحرمين الشريفين من مظاهر شرعية الخلافة . فحرص الخلفاء العباسيون والفاطميون على تأكيد نفوذهم في الحجاز من خلال أمراء الحج، الذين استعملوا القوة حينًا، والهبات والأعطيات أحيانًا أخرى، مع الزعامات المحلية من المدينتين المقدستين .

وكان من مظاهر هذا النفوذ : حرص الحكام المسلمين على إيصال أعلامهم إلى عرفات قبل غيرهم ، وإقامة الخطبة في موسم الحج على منابر الحرمين باسم الخليفة ، وتقديم كسوة الكعبة المشرفة ، وتعليق هدايا الكعبة في موضع بارز يشاهده المسلمون ؛ لأن ذلك يضفي على أصحاب السلطة مكانة خاصة تصل إلى حد الادعاء بحوزة الخلافة الشرعية للمسلمين كافة .

الفصل الثاني : التأثير الاقتصادي للحج : وقد تضمن هذا الفصل التبادل التجاري بين الحجاج وأهل الحجاز ، وحجم هذا التبادل ، وأهم الأسواق التي يجري فيها ، وأنواع البضائع المتبادلة، والمكوس والضرائب وطرق جبايتها . وأثر الحج في المعاملات التجارية ، مثل : أنواع النقود ، والأوزان ، والمكاييل والمقاييس في الحجاز. كذلك مخصصات أهل الحرمين من أعطيات الخلفاء العباسيين ، وحكام الدول المستقلة عن الخلافة ، مثل : الطولونيين ، والأخشيديين، والفاطميين، والأيوبيين، ومبرات بعض الشخصيات الإسلامية لأهل الحرمين . كذلك الأثر الاقتصادي لطرق الحج مثل : دور الطرق في تنشيط التبادل التجاري ، وأهم الأسواق

التجارية على الطرق ، والمهن المتعلقة بطرق الحج، ومعوقات اقتصاد الحج .

الفصل الثالث : التأثير الاجتماعي للحج . تكلم الباحث فيه عن تأثيرات الحج في تركيبة السكان الاجتماعية، وفي الأعياد والمناسبات الدينية، وفي العادات والتقاليد الاجتماعية ، وفي الملبس والمأكل ، وكذلك أثر طرق الحج في استقرار القبائل في محطات هذه الطرق ، والعمل في بعض الحرف المدنية ، وتقديم الخدمات للحجاج ، وتغيير عاداتهم في السكن واللباس والطعام .

أما الخاتمة ، فضمت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في دراسته .